بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شهرية بعنوان:

يا باغي الخير أقبل

كتبه

محمد بن سعيد الأندلسي

عفا الله عنه

شهر رمضان من عام ١٤٤٣

الحمـد للـه رب العـالمين والصـلاة والسـلام علـى سـيدنا محمـد وعلـى آلـه وصحبه والتـابعين، أمـا بعـد فـإن مـن رحمـة اللـه وفضـله علينـا أن جعـل لنـا بـين غفلـة هـذه الحيـاة محطـات نتزود فيهـا بالإيمـان والتقـوى، ونمحـو مـا علـق بقلوبنـا مـن أثـار الـذنوب والمعاصـي والغفلـة المسـتحكمة ... فهـي محطـات لإحيـاء القلـب وإيقاظـه مـن رقدتـه وإشـعال فتيـل الطاعـة وجـذوة الإيمـان فيـه ... محطـات نلـتقط فيهـا أنفاسـنا ونعيـد ترتيـب أوراقنـا ونفـرّغ قلوبنـا لغايـة واحـدة وهي الرجـوع إلى اللـه تبـارك وتعـالى، فنخـرج منهـا بـروح جديـدة وهمـة عاليـة وقـوة إيمانيـة تعيننـا على مواجهـة الحيـاة ومـا فيهـا مـن فـتن وجـواذب وصـوارف وآفـات ... والسـعيد مـن رتـب أوراقـه وراجـع نفسـه وهيأهـا للاسـتفادة مـن تلـك الفـرص قبـل قـدومها عليـه فيتـدارك فيهـا مـا فـات، فـلا تمـر عليـه حتى يتزود منهـا بكـل مـا يحتاجـه في رحلتـه إلى اللـه عـزَّ وجـل، ممتـثلاً لقـول اللـه تعـالى:﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[البقـرة١٩٧] ... فهـا قـد هـلَّ علينـا الشـهر الكـريم بخيره وبركتـه وجزيـل عطائـه، وهـو مـن أهـم المحطـات التي تمـر علـى المسـلمين للتوبـة والأوبـة، فقـد جعلـه اللـه عـز وجـل موسـماً لاسـتباق الخيرات تحـت شـعار يـا بـاغي الخير أقبـل و يـا بـاغي الشـر أدبـر ... الشـياطين فيـه مصـفدة وأبـواب النيـران مغلقـة، والأجـواء مهيـأة لنيـل المغفـرة والرحمـة والرضـوان، تزينـت فيـه الجنـة ونـادت خطابهـا أن هلمـوا إلي وأسـرعوا الخطى فالسـوق مفتـوح والبضـاعة حاضـرة والملـك جـواد كـريم ... فهنيئـا لمـن أحسـن الاسـتعداد لاستقباله حتى لا يفاجأ بقدومه وذهابه.

لـذلك ينبغي لكـل مسـلم ومسـلمة أن يضـع برنامجـا لـه خـلال هـذا الشـهر الكـريم يقسـمه بـين الـذكر وعلـى رأسـه قـراءة القـرآن، والصـلاة ويحـرص فيـه علـى التهجـد والقيـام، وتجديـد الإيمـان ويحـرص على كتـب ودروس الـوعظ والرقـائق، فيضـع لـه أهـدافا يصـل إليهـا مجتهـدا خـلال الشـهر الفضـيل مـن عـدد الختمـات وخشـوع القلـب في الصـلوات والإكثـار مـن الاسـتغفار ومحاسـبة الـذات والإقـلال مـن فضـول الكـلام والضـحك قـدر المسـتطاع ولـيكن كلامـه بعيـدا عـن اللغـو

وسائر أفات اللسان فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقُلْتُ: مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»[١]، ومن أفضل الأعمال تدبر في كتاب الله تعالى فهو وسيلة عظيمة لشفاء القلوب وهدايتها وتنويرها، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس ٥٧]، وقال على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: « وَلَا خَيْرَ فِي فِقْهٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ. »[٢]، وقال ابن القيم:" وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا شَيْء أَنْفَع للقلب من قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر والتفكر فَإِنَّهُ جَامع لجَمِيع منَازِل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين وَهُوَ الَّذِي يُورث الْمحبَّة والشوق وَالْخَوْف والرجاء والانابة والتوكل وَالرِّضَا والتفويض وَالشُّكْر وَالصَّبْر وَسَائِر الأحوال الَّتِي بهَا حَيَاة الْقلب وكماله وَكَذَلِكَ يزْجر عَن جَمِيع الصِّفَات والأفعال المذمومة وَالَّتِي بهَا فَسَاد الْقلب وهلاكه فَلَو علم النَّاس مَا فِي قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر لاشتغلوا بهَا عَن كل مَا سواهَا"[٣].

وبعد مرور أيام من رمضان على هذا النحو من برنامج العبادات تصبح النفس سهلة القيادة مرنة في الطاعة فيخشع القلب وتنقاد الجوارح ... وعند ذلك ينبغي محاسبتها على ما مضى من أعمال، وتتناول المحاسبة حياة المسلم من جميع جوانبها، فعلى الواحد منا أن يقف أمام كل بند من بنودها ليعرف مواضع أقدامه فيصحح المسار، وعلى المسلم أن يتحرى أوقات استجابة الدعاء فيدعوه دعاء المضطر الغريق لنفسه ولأهله ولإخوانه وللمسلمين

---

[١] رواه الطبراني في المعجم برقم ٧٤١

[٢] الزهد لأبي داود برقم ١٠٤

[٣] مفتاح دار السعادة ١٨٧/١

أجمعين، لعله يتعرض إلى نفحة من نفحات المولى جل وعلا فينال الرضى ويجاب الدعاء.

عَامٌ تَوَلَّى فَعَادَ الشَّهْرُ يَطْلُبُنَا | كَأَنَّنَا لَمْ نَكَنْ يَوماً ولاَ كَانَا
حَفَّتْ بِنَا نَفْحَةُ الإِيمَانِ فارتفعَتْ | حرارة الشَّوْقِ فِي الوِجْدَانِ رِضْوَانَا
يَا بَاغِيَ الخَيْرِ هَذَا شهرُ مَكرُمَةٍ | أقبِل بِصِدقٍ جَزَاكَ اللهُ إحسَاناً
أَقْبِلْ بجُودٍ وَلاَ تَبْخَلْ بِنَافِلَةٍ | واجْعَلْ جَبِينَكَ بِالسَّجْدَاتِ عِنْوَانَا
أعْطِ الفَرَائضَ قدْراً لا تضُرَّ بِهَا | واصْدَعْ بِخَيْرٍ ورتِّلْ فِيهِ قُرْآناً
واحْفَظْ لِسَاناً إِذَا مَا قُلتَ عَنْ لَغَطٍ | لاَ تجْرَحِ الصَّوْمَ بالأَلْفَاظِ نِسْيَانَا
وصَدِّقِ المَالَ وابذُلْ بَعْضَ أعْطِيَةٍ | لنْ ينْقُصَ المَالَ لَوْ أنْفقتَ إحْسَانَا
تُمَيْرَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُنْفِقُهَا | أرْوَتْ فُؤاداً مِنَ الرَّمْضَاءِ ظَمآناً
وَلَيلَةُ القَدْرِ مَا أدْرَاكَ مَا نِعَم | فِي لَيْلَةٍ قَدْرُها أَلْفٌ بِدُنْيَانَا
أُوْصِيكَ خَيْراً بأيَامٍ نُسَافِرُهَا | فِي رِحْلَةِ الصّومِ يَحْيَا القَلبُ نَشْوانَا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين.

